المبحث الثالث

الرد على قولهم امتلاك المسيح أفعال وصفات اللّه

1 - المعجزات

لن أتناول كل معجزات المسيح بالدراسة، وإنما سأكتفي ببعض المعجزات محللا ومناقشا إياها كي تتضح صورتها.

أ - شفاء المفلوج:

قال متى (وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».3وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!»4فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟5أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟6وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا». حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»7فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ.8فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ هَذَا)[1].

يركز بعض المسيحيين على قول المسيح: (ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)، فذلك يعني عندهم أن المسيح هو الله لأنه يغفر الخطايا، يقول البابا شنودة: (لقد غفر للمفلوج وقال له في وضوح مغفورة لك خطاياك)[2]. والبابا شنودة هنا أخذ هذا العدد ليبرهن على أن المسيح هو الله غافر الخطايا، وهذا غير صحيح لأن النص يتعلق بشفاء كسيح، وحتى إذا أخذنا بقوله، فالنص يقول مغفورة لك خطاياك وليس أنا غفرت لك.

وهذه القصة أدرجها جوش مكدويل[3] في إطار المعجزات تحت عنوان: معجزات الشفاء الجسدي. ولم ترد القصة في متى فقط، بل وردت في كل من مرقس (12-3/2) ولوقا أيضا وأثبت هنا جزءا من نص لوقا غير وارد في رواية متى وهو: وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَاناً مَفْلُوجاً، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ. 19وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعِدُوا عَلَى

---

(1) متى9/2-8.

(2) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 73.

(3) "برهان يتطلب قرارا"، مكدويل، ص: 150.

السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الأُجُرِّ إِلَى الْوَسْطِ قُدَّامَ يَسُوعَ)[1]. هنا رواية لوقا تقول إن المفلوج دلّوْه من السطح.

إذا أي الروايتين نصدق؟ فالحدث واحد والروايتان مختلفتان، ولماذا تلك المعاناة كلها في إحضار الكسيح عن طريق إنزاله من السطح؟ فلو كان المسيح فعلا هو الله ويعلم الغيب لكان شفاه على الأقل وهو خارج البيت دون تلك المتاعب المتمثلة في إنزاله من السطح.

لكن لماذا تم إنزاله من السطح؟ الاجابة ستكون انطلاقا من التفاسير، تجيب "الموسوعة الكنسية" قائلة: "من بين المرضى الكثيرين الذين ازدحموا حول المسيح، حضر أربعة رجال يحملون مشلولا على فراشه، وبسبب الزحام حول الباب لم يجدوا طريقا للوصول إلى المسيح إلا الصعود فوق السطح"[2].

قبل التعليق على هذا النص، أورد تفسيرا ليعقوب ملطي يقول فيه: "الآن إذ يجتمع السيد المسيح في بيت وقد أحاط به فريسيون ومعلمو الناموس جاءوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم، كان يعلمهم....وإذ رأى مفلوجا يدليه أربعة رجال من السقف قطع حديثه ليهب غفرانا للمفلوج وشفاء لجسده"[3].

يتضح إذا، بالإضافة إلى اختلاف رواية متى ولوقا، أن تفسير نص لوقا هو أيضا فيه اختلاف، فالموسوعة تذكر أن الذين ازدحموا أمام المسيح هم من المرضى، وهو سبب عدم الوصول بالمفلوج إلى المسيح فكان الخيار هو السطح. وهنا يمكن الرد بما يلي: لو كان المسيح هو الله فعلا كما يعتقد المسيحيون لقام بشفاء المرضى بسرعة فائقة بقوله "كن فيكون"، لا أن يزدحموا حوله وكأنهم في انتظار الطبيب.

وبالنسبة لقول يعقوب ملطي الذي خالف التفسير السابق، وخص ذلك بأناس كانوا يتعلمون من المسيح، يمكن الرد على تفسيره بما يلي: إن شفاء المرضى أولى من تعليم الناس، وعليه ما دام المسيح هو الله، فكان عليه بمجرد وصول المفلوج إلى الباب إما أن يخرج لشفائه، أو يطلب من الحاضرين إفساح الطريق حتى يتمكن الرجال من الوصول بالمفلوج إلى المسيح.

وتجدر الإشارة إلى أن الدخول من السطح من الأمور غير المعقولة، إذ كيف يكون البيت بهذه الصورة من الازدحام حول المسيح ومع ذلك يأتي الرجال الأربعة ويقومون بإزالة جزء من السقف! لا شك في أنه سيسقط عليهم التراب أو الخشب أو أي شيء من السقف. ثم لماذا لم يطلب الحاضرون من الرجال الأربعة التوقف عن

---

(1) لوقا5/18-19.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، ج2، بشارتي لوقا ويوحنا، ص: 66.

(3) "الإنجيل بحسب لوقا"، من تفسيرات وتأملات الآباء الأولين"، القمص تادرس يعقوب ملطي، مطبعة الأنبا رويس، ص: 167.

إزالة السقف بمجرد سماعهم ورؤيتهم للسقف وهو يزال، ولماذا يتركوا لهم مكانا من مدخل الباب ليصلوا إلى المسيح بالمفلوج؟. فهذه صراحة قصة غربية نظرا لتناقضاتها رواية وتفسيريا.

ب - معجزة تكثير الطعام:

جاء في متى: (وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَاماً». 16فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». 17فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا هَهُنَا إِلاَّ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَانِ». 18فَقَالَ: «ائْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا». 19فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ لِلْجُمُوعِ. 20فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَةً. 21وَالآكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ)[1]. هذه المعجزة وردت في من: مرقس (6/35-44)، لوقا (9/10-17)، ويوحنا (6/1-14).

إن هذه المعجزة التي يستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح، حجة عليهم لا لهم، يقول عزت الطهطاوي: "إن المتتبع للواقعة السابقة- المعجزة- يتبين له أن المسيح أتى بأشياء تنافي الألوهية، وهي:

- قيام المسيح بأن رفع نظره نحو السماء كما هو واضح في متى: (وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ)، وهذا الفعل يأتيه الإنسان عادة عندما يطلب الإمداد السماوي من الله تعالى.
- تكثير الطعام لم ينفرد به المسيح عليه السلام، بل ذكر العهد القديم أن إيليا قام بتكثير الدقيق والزيت وهذا ما جاء في سفر الملوك[2] فهل يعد إيليا إلها!؟ طبعا لا لم يقل أحد ذلك.

ج - شفاء الرجل الكسيح:

(وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.2وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ.3 فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. 4لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ.5وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. 6 هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ

---

(1) متى14/15-21.

(2) سفر الملوك الأول 17/8-16، لم أثبت النص هنا لطوله.

تَبْرَأْ؟»7أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: « يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».8قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».9فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى)[1].

يحتج المسيحيون بهذه القصة كدليل على قدرة المسيح الإلهية في الشفاء، لكن في النص أمور لا بد من كشفها. فالقول: (لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ). هذه الفقرة زائدة والترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس وضعتها بين معقوفتين وعلقت في الهامش بالقول: "لا ترد في معظم المخطوطات القديمة" وهو نفس تعليق الترجمة اليسوعية على الفقرة هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، يقول النص: إن المريض مدة ثمان وثلاثين سنة وهو مريض ولم يجد من يلقيه في البركة كي يشفى من مرضه. وهناك يطرح السؤال: إذا لم يجد ذلك، فمن الذي كان يقدم له الأكل والشرب ويساعده على قضاء حاجته؟ ولماذا قام المسيح بشفاء هذا المريض وترك الآخرين؟ لأن النص يقول: "كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ". أليس هذا يدل على غياب للعدل والرحمة في شخص المسيح**!؟**

إن ما فعله المسيح عليه السلام من معجزات لم يقل فيها إني فعلتها باعتباري إلها، وإنما فعلها بالقدرة التي منحه الله إياها، وهناك نصوص تؤكد هذا، جاء في يوحنا: (وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّماً، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ)[2]. وفي يوحنا أيضا: (أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)[3]. فالأعمال التي يقوم بها المسيح مصدرها الله بشهادة النصوص. أضف إلى ذلك قول المسيح لمن آمن به أنه يستطيع القيام بأعمال المسيح بل أعظم منها، والنص في هذا هو: (اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا)[4]. وهنا نقول للمسيحيين إذا كنتم مؤمنين حقا بالمسيح، فبناء على هذا النص، من المفروض أن تقوموا بما كان يقوم به إلهكم المسيح بل وتقوموا بأعظم من ذلك**!** فإذا قمتم بذلك فأنتم آلهة، وإذا لم تفعلوا شيئا فأنتم لستم بمؤمنين.

---

(1) يوحنا5/1-9.

(2) يوحنا3/2.

(3) يوحنا 30/5.

(4) يوحنا 12/14.